# الفصل الخامس

## المعركة على الجبهة السورية

### ■ الدرس السورى.. الذى لن تنساه إسرائيل أبدًا:

بدأت القوات السورية هجومها فى اللحظة نفسها التى بدأت فيها القوات المسلحة المصرية الهجوم طبقا للاتفاق بين القيادة العسكرية والسياسية فى البلدين.

وعبرت ١٠٠ طائرة سورية على ارتفاع منخفض للغاية خط وقف إطلاق النار، وفتح نحو ألف مدفع النيران على المواقع الإسرائيلية فى هضبة الجولان، ثم اندفعت الموجات الأولى من الدبابات وناقلات الجنود المدرعة نحو (خط آلون)، وهو خط الدفاع الإسرائيلى فى الجولان الذى يماثل خط بارليف على الجبهة المصرية، وهو خط يمتد على طول الجبهة السورية (نحو ٧٠ كم).

و قد تم ذلك تحت حماية رمى المدفعية الكثيف والمركز، والذى استمر حوالى ٩٠ دقيقة، من مجدل شمس شمالاً، حتى وادى اليرموك جنوبًا، وقد صاحبت البلدوزرات والدبابات حاملة الجسور الموجة الأولى من الدبابات المهاجمة، حتى تردم الخندق العريض المضاد للدبابات، وتقيم عليه المعابر فى إجراء مماثل لعملية إنشاء المعابر على قناة السويس على الجبهة المصرية.

وفى حوالى الساعة الثانية ظهرًا وبالتزامن مع بدء المعركة على الجبهة المصرية، استطاعت الدبابات وناقلات الجنود السورية اجتياز الخندق، فى نقطتى اختراق رئيسيتين: الأولى كانت عند مدينة القنيطرة، والثانية عند بلدة الرفيد.

وفى الوقت نفسه بدأت أربع طائرات هليكوبتر فى عمليات إبرار جوى على قمة جبل الشيخ، على ارتفاع ٢٨١٤ مترًا، حيث هاجمت القوات السورية حامية المرصد الإسرائيلى، البالغ عدد أفرادها ٥٥ جنديًا، وقد تم الاستيلاء على المرصد بعد نصف ساعة من القتال العنيف، ولم ينج من الحامية سوى ١١ جنديًا إسرائيليًا استطاعوا الفرار من الموقع.

وقد حاول لواء إسرائيلى استرداد المرصد بهجوم مضاد، إلا أن وحدات المشاة المغربية، المرابطة عند سفوح جبل الشيخ، استطاعت أن تصد الهجوم، وتقتل ٢٢ جنديًا إسرائيليًا، وتصيب ٥٠ آخرين بجراح .

وقد تمكنت القوات السورية من اختراق خط الدفاع الإسرائيلى إلى عمق نحو ٢٠ كم داخل هضبة الجولان، حتى أصبحت على مشارف بحيرة طبرية.

وبحلول مساء اليوم الثانى للقتال (٧ أكتوبر) كانت القيادة الإسرائيلية قد استكملت تعبئة وحدات الاحتياطى وإرسالها إلى هضبة الجولان، وقد استطاعت هذه القوات المدعومة بسلاح الجو الإسرائيلى أن تصد الزحف السورى فى القطاع الجنوبى.

ومع تركيز القوات الإسرائيلية على الجبهة السورية خاصة، لأن الجبهة السورية هى التى تدفقت منها الدبابات، حيث كانت تمثل الخطر المباشر والأقرب على القسم الشمالى من إسرائيل، فقد أمرت القيادة الإسرائيلية سلاح الجو أن ينقل مركز ثقله وضغطه إلى هذه الجبهة، بدءًا من اليوم الثانى للقتال.

واستمر الطيران الإسرائيلى فى هجومه المركز على المدرعات والقوات السورية، على مدار الأيام الثلاثة الأولى من الحرب، على الرغم من فداحة الخسائر التى تحملها، نتيجة لقوة الدفاع الجوى السورى.

## ■الهجوم الإسرائيلى المضاد:

وقد أدى اشتراك سلاح الجو الإسرائيلى فى القتال إلى تدمير عدد كبير من المدرعات السورية، وهو ما ساعد

القوات البرية الإسرائيلية على صد الهجوم السورى، ثم الانتقال إلى الهجوم المضاد.

وابتداء من اليوم الثالث للقتال -٨أكتوبر ١٩٧٣م- شن الطيران الإسرائيلى هجوماً على العمق السورى بوحشية، حيث تم قصف أهداف عسكرية ومدنية على السواء فى دمشق، كما هوجمت محطة الكهرباء ومصفاة النفط فى حمص، وخزانات النفط فى طرطوس واللاذقية.

ودارت معارك جوية عديدة بين الطيران الإسرائيلى والطيران السورى، الذى استمر فى تقديم دعمه القريب للقوات البرية، خلال معارك صد الهجوم المضاد الإسرائيلى.

الرئيس حافظ الأسد مع أحد الجنود أثناء زيارته للجبهة السورية

ولكن المعارك الأشرس كانت فى جيب[1] سعسع وفوق جبل الشيخ، حتى نهاية الحرب.

وصباح يوم ٨ أكتوبر قررت القيادة الإسرائيلية شن هجوم مضاد فى القطاع الجنوبى، وتقدمت القوات الإسرائيلية فى منطقة (العال) متجهة شمالاً، حتى بلغت خط الجوخدار ـ الرفيد.

وعلى المحور الأوسط، تقدمت القوات الإسرائيلية حتى أوشكت أن تغلق الطرف الشمالى للكماشة المطبقة على الخشنية، التى جرت حولها معارك عنيفة، حتى اضطرت القوات السورية إلى الانسحاب من الخشنية يوم ١٠ أكتوبر خشية تعرضها لعملية التفاف.

أما فى القطاع الشمالى فقد انطلقت القوات السورية فى الهجوم فى المنطقة الواقعة إلى الشمال من مدينة القنيطرة.

واستمر الهجوم فى أثناء الليل وبعد قتال استمر طوال يومى ٧ و ٨ أكتوبر اضطرت القوات السورية إلى إيقاف هجومها.

١ - الجيب أو الثغرة : مصطلح عسكرى يطلق على مجموعة من القوات فى وضع شبه مطوق، تنتشر على مساحة صغيرة جدًا، بحيث تصبح غير قادرة على المناورة. وهذا الأمر يعتبر كارثيًا على المستوى الاستراتيجى لهذه القوات لأنها: (غير قادرة على المناورة، بسبب انتشارها على مساحة ضيقة، بمعنى آخر افتقارها للعمق - مكشوفة للعدو، تعتبر صيد سهل كونها جاثمة(مركز لا عمق له)، وبالتالى فهى عديمة الحركة - ومع صعوبة الإمدادات والتموين، بسبب الموانع الطبيعية أو ظروف المنطقة المطوقة يتشكل الجيب غالبا كنتاج عكسى لسير المعارك، نذكر في هذا الصدد جيب فاليز عام ١٩٤٤م، حيث طوق الحلفاء القوات النازية فى مدينة فاليز الفرنسية وقد شبه الألمان هذا الحدث ب(ستالينجراد الغرب) من هول الخسائر التى حلت بهم.

وأيضا على الجبهة الشرقية (جيب كييف) عام ١٩٤١ فى الحرب العالمية الثانية، حيث تم أسر أكثر من ٤٥٠٠٠٠ جندى سوفييتى مرة واحدة، نتيجة التقدم السريع للقوات الألمانية فى عمق الأراضى السوفيتية وأخيرًا جيب الثغرة (ثغرة الدفرسوار) الذى حدث فى حرب أكتوبر ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر عام ١٩٧٣م .

ويوم ١١ أكتوبر بدأ الهجوم الإسرائيلى المضاد، وتركز فى القطاع الشمالى من الجبهة، فاتجهت مجموعة من قوات العدو نحو مزرعة ( بيت جن )، فى حين اتجهت قوة أخرى إلى الطريق الرئيسى: القنيطرة ـ خان أرينبة ـ سعسع.

وفى اليوم التالى استولت القوات الإسرائيلية على مزرعة بيت جن.

## ■ صمود الجبهة السورية:

وفى أثناء الهجوم الإسرائيلى المضاد وصل اللواء المدرع ١٢ العراقى التابع للفرقة المدرعة الثالثة إلى الجبهة السورية ليلة ١٠–١١ أكتوبر وتمركز فى الصنمين، على بعد ٥٠ كم جنوبى دمشق ثم توالى وصول القوات العراقية.

أما اللواء المدرع ٤٠ الأردنى فقد دخل سوريا يوم ١٢ أكتوبر، واحتشد فى منطقة الشيخ مسكين، على الطريق المؤدى إلى القنيطرة.

وقد باشرت القوات العراقية والأردنية عملياتها بهجمات مضادة على القوات الإسرائيلية، خاصة فى القطاع الجنوبى.

وقد فشل الهجوم المضاد الإسرائيلى فى اختراق الجبهة السورية التى أنسحبت قواتها نحو خط الدفاع الثانى تحت الضغط الشديد ثم لم يلبث الهجوم أن أوقف تماما، إذ إن

وصول القوات العراقية والأردنية إلى الجبهة، ومساهمتها فى حماية الجناح الجنوبى للقوات السورية، وقيامها بهجمات مضادة، قد ساعد على ثبات الجبهة وصمودها.

## ■ مجلس الأمن ينقذ إسرائيل من إعصار «سورى - عراقى - أردنى»:

وبعد تجمد الموقف بدأت القوات السورية بمعاونة القوات العراقية والأردنية فى التحضير لشن هجوم مضاد شامل، وكانت القيادة العسكرية السورية، قد خططت للقيام بهذا الهجوم، والبدء به فى أسرع وقت ممكن، لمنع العدو من تحصين وضعه الدفاعى، ولتخفيف الضغط على الجبهة المصرية، بعد نجاح اختراق القوات الإسرائيلية فى ثغرة الدفرسوار.

وفى ٢٠ أكتوبر وزعت المهام على القوات السورية والعراقية والأردنية وعلى القوات العربية الأخرى، وكان حجم القوات التي تقرر اشتراكها فى الهجوم المضاد الشامل كافيًا لرد القوات الإسرائيلية الموجودة فى جيب سعسع، ثم متابعة الهجوم لتحرير هضبة الجولان ولكن صدور قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ فى ٢٢ أكتوبر بوقف إطلاق النار وقبول مصر له أصاب الجبهة السورية بمفاجأة فاضطرت إلى وقف تنفيذ خطة الهجوم المضاد، والقبول بوقف إطلاق النار.

ولم تكد الحرب تنتهى حتى استؤنفت الأعمال القتالية بشكل محدود ثم تطورت تلك الأعمال حتى اتخذت بدءًا من ١٣ مارس ١٩٧٤م، شكل (حرب استنزاف) جديدة استمرت ثمانين يومًا وكانت تهدف إلى كسر حالة الجمود الناجمة عن الموقف الأمريكى ـ الإسرائيلى تجاه الوضع فى الجولان.

وفى ٣١ مايو ١٩٧٤م توقفت الأعمال القتالية وتم توقيع اتفاقية فصل القوات وكانت خسائر الحرب فى الطرف السورى: ٣ آلاف شهيد، و ٨٠٠ دبابة، و ١٦٠ طائرة.

ولقد كان من أهم المكاسب فى حرب أكتوبر هو اتحاد العرب من خلال تضامن عربى وقومى مشرف وتقديم الدعم المادى والمعنوى بل والمشاركة بالرجال على كلتا الجبهتين المصرية والسورية بعد أن ايقنوا أن مصير أمتهم واحد وأن قضاياهم مشتركة، فاتخذوا سياسة منع تصدير البترول طريقاً لوضع الدول الغربية – الداعمة لإسرائيل – فى موقف حرج ... إذا خرجت شعوبها مطالبة حكوماتها بالتخلى عن موقفها فى دعم إسرائيل، بل والتدخل للسعى لوقف الحرب التصبح هذه الشعوب نفسها ورقة الضغط التى استخدمها العرب لتغيير سياسات دول عدة.

□□□